

# لُغَةُ الْحَزَنِ



نصوص وخواطر

عبدالرحمن معروف



نُغَةُ الحُزْنِ

عبد الرحمن معروف

فيسبوك:

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100051442894037&mibextid=ZbWKwL>

تصميم الغلاف:

مروة سلامة.

جميع الحقوق محفوظة لدى المؤلف..

## الإهداء

" لا تنسَ من كان معك من البداية "

لا أنسى تلك التي لطالما كانت كلماتها  
تصطحبني أينما ذرفت أحلامي اليأس..

كان حقُّ للقين أن يتحقق..

فهذا إيمانك اليوم يجني ثمارَ يقينه..

وها أنا اليوم أهديك خالصَ شكري على  
دعمك القدير.

ثَمَّةَ نَصِّ يُشْبِهُكَ....

## أمتلكُ شيئاً أعظم

لستُ كاتباً حتى أكتب عنك..

ولستُ أديباً أو شاعراً حتى أنهلَ عليكِ بكلماتي المعسولة..

ولستُ صاحب تجارب في الحياة حتى أقصَّ عليكِ تجاربي..

ولستُ حكيماً حتى تستمعي إلى حكمي ونصائحي..

لا أمتلكُ شيئاً من هذا القبيل..

لكنني أمتلكُ ما يؤهلني أن أكون لكِ كل ذلك..

أمتلكُ ما يصنعُ المعجزات..

أمتلكُ الحبَّ لكِ!!

## ما زلتُ أراكِ

ما زلتُ أراكِ رغم كل شيء، رغم رحيلك وبعْدك، رغم محاولات تجنبك..

كعادتِي ما زلت أحداثك وسط غرابيب الليل، أقضي الليل متأملاً أساريِرَ كلماتك..

أستيقظ في الصباح على أنغام صباحياتك الفريدة.. فمعها تجتمع كلُّ ألحان الجمال..

ما زلتُ أمسك هاتفي وأرسلُ لكِ كل التفاصيل التي تحدث معي..

ما زلتُ أفعلُ كلَّ شيء وما زالوا في كل يوم يأخذونَ بيدي إلى الطبيب..

وبعد جلسةٍ طويلةٍ من اليأس يخطُ بيديه في ورقة صغيرة بعض الأدوية فأخذ تلك الورقة وأعطى تلك النصوص وأكتبُ مكانها:

عودتكِ!

## الضرباتُ نوعٌ مِنَ الإدراك

الضرباتُ تجعلك تُدركُ حدود الأشياء...

فضربة الخذلان تجعلُ للثقة حدود..

وضربة الفراق تجعل للتعلق حدود..

أما ضربة الحب فتجعلك تقرأ كل من يقول لك  
أنا أحبك:

أريدُ قتلك مرة أخرى!

## ابتسامةٌ مجهولة

في خِصَمِّ المعاناة

وجراح الماضي

وبؤس الحاضر..

تتولد ابتسامة طفيفة تبعث بالحياة على ملامح قد فارقتها الروح  
منذ أمدٍ بعيدٍ..

تبتهجُ أسارى وجهك...

ولست تدري ماهية هذه الابتسامة!

أهي ابتسامةٌ صمود في وجه الصعاب؟

أم غيبٌ أقبلَ وسيتوارى عما قريب!..

من ذا يسير ضاحكًا بينما رماح الألم تختزل روحه عن الحياة!؟

لا شيء من هذا القبيل يا صديقي..

فهذه ابتسامة الرmq الأخير..

إنها بدايةُ النهاية!..

## مُخَادِعُونَ

إننا قومٌ عِجافُ المشاعر، لا نهتم ولا نبالي بأحد..  
نودعُ الراحلين بجفاء ونتلقى الخذلان بثبات..  
لا العينُ تحكي دموعاً ولا الملامحُ تشتكي حزناً.. كأنما قلوبنا  
خلقت من حجارة..  
نحن قومٌ كذابون..  
أفأكون..  
مخادعون..  
فنحن ضعفاء جداً..  
إننا نبكي دماً وتسودُ ملامحنا كمدأ..  
لكنّ لنا ليلاً يسترنا، فلو غاب القمرُ يوماً لهلكنا..  
فنحنُ ضحايا كبريائنا..

## لن تنسى...!

بينما كان الطفل سالم ذو الثمانية أعوام يسيّرُ عائداً إلى منزله يحملُ في يده بعض الحاجيات التي ابتاعها من البقال العم خالد، وكعادة الأطفال يجذبهم أي شيء يمرون به، مر الطفل على مجموعة من العمال ينصبون صرحاً عظيماً، وخلفهم أحدث المعدات التي لم يرها الطفل في حياته قط، فأخذ يسيّر وعيناه تنظر إليهم بدهشة، فجأة تعثر الطفل بحجر فاحتضنته الأرض بكل قوة حتى أوشتت عظامه أن تنهشم.. سقط ولم يبرح مكانه فلا قوة له على النهوض، لم تكن أمه بجانبه كي تركض نحوه وتشفي غليله بانتقامها من الأرض التي آذته... حينها كان يتيماً من الحنان، ينخر الضعف جسده، فلا أحد هنا يعرفه على نفسه ليقول له أنت قوي، أنت بطل..

رأه شيخ فأقبل إليه وأجلسه على حافة الرصيف وضمه إلى صدره ومسح على جرحه ثم ضمه إلى صدره ثانية وهمس في أذنه لا تبتك يا بُني سوف تكبر وتنسى، ثم تركه يللمم أنفاسه وراح الشيخ يسيّر في حال سبيله، لحظات وينهض بعدها الطفل ليكمل طريقه، سار كل منهما في طريق معاكس، توقف الشيخ

قليلاً ثم استدار بجسده يرقب الطفل، تبسم ابتسامة السعيد النادم  
ثم همسَ في نفسه مخاطباً الطفل:

أسف يا صغيري، الحقيقة أنك لن تنسى ولو كبرت ألف عامٍ  
وعام، فهذا الجرحُ ليسَ نهاية الجراح حتى يعمَّ السلامُ من بعده..  
نعم ستكبر، لكنك ستصابُ بجرحٍ آخرٍ أشدَّ ظلمةً من ذي قبل،  
وآخر يُهشمك فلا يتركُ فيك إلا بقايا محطمة، وآخر يلوي  
ابتسامتك فلا يُبقي منها شيئاً..

ستكبر، لكنك لن تنسى...

ستكبر وتتمنى أنك لم تنسَ هذا الجرح الرحيم...

أسف يا صغيري، سامحني على كذبتني البيضاء...

## مفاوضة

يدنو إليك الحنينُ..

يُفاوضك على العودة..

يتلو عليك أنين الذكريات..

يهديك رواية بعنوان "حديث الليل"

يرسم أحداث لقاءٍ لن يحصل..

يحتوي الأحلام بين قلبه ليسد مخمصة اشتياقه بكسرةٍ من  
الأحلام اليايسة..

يشدو مترجلاً بنصوص غزلية يلقيها على مسامع طيفك الحائم  
في مكان ما هاهنا..

يُثرثر كثيراً ثم يهمسُ يائساً:

أتسمعيني عزيزتي؟

## الإفراط انتحار

الإفراطُ في الأملِ يخلقُ مِنْكَ شَخْصاً مُتَوَاكِلًا يَتَشَبَّهُ بِأَحْلَامٍ مُسْتَحِيلَةٍ..

فَيَطُولُ الْإِنْتِظَارُ الَّذِي لَا نِهَائَةَ لَهُ..

فَتَعْدُو يائِساً تَنْدُبُ أَحْلَامَكَ الْمُتَمَرِّدَةَ..

الإفراطُ فِي الأملِ انتحارٌ للوَأَقَعِ..!

## ذكريات

على ضفافِ نهرِ الحنينِ عَكَفْتُ أُحْصِي ذكرياتي..  
أَتَفَحَّصُهَا بِرِفْقِ كِ كَنْزٍ تَمِينٍ عَثَرْتُ عَلَيْهِ حِيناً..  
فَأَهْدِيهَا بَعْضاً مِنْ مُفْرَدَاتِ الحُبِّ ثُمَّ أَحْذِفُهَا إِلَى النهرِ فَتُحَدِّثُ  
جَلْبَةً تَدْوِي لَهَا أَحْلَامُ اللِقَاءِ..  
فَتُشْرِقُ الشَّمْسُ مَتَوْهَجَةً لَتُخْبِرُنِي أَنْ أَنْ اِنْدِثَارُ الأحلامِ لِيَحِينَ  
وَقْتُ الاسْتِيقَاضِ..

## لا شيء لنا..

ليسَ لنا من الحب إلا الحديث

وليس لنا من السعادة إلا الأمل المركون في زاويةٍ بمتاهةٍ  
على جزيرة لا خريطة لها..!

ليسَ لنا في اللقاء إلا الخيال...

ليس لنا في شيء نتنفسه إلا الخذلان، كأنما هو ملك وكأننا له  
عبيد، ننحني حاملين على ظهورنا زاداً من الثقة فيتبدد بين  
يديه، كملكٍ جائر لا يخرجُ من بابه إلا رسولٌ يؤذُنُ بحكم  
الإعدام...!

## أسنا متكبرين..

ليس كِبِراً يا صديقي وليست غطرسةً أو غروراً...  
لكنهُ شيءٌ آخر شاقٌّ على الآخرين استيعابه.. والتبرير لن يجدي  
غالباً..

ربما تستطيع تسميته خوفاً أو خشيةً..  
خشية أن نُعلِّق أحداً بنا أو نتعلق بأحدهم، ما لنفسنا علينا من  
بال...

لا نخشى أن نكون نحنُ وحدنا الضحايا.. على الأقل سيكون قد  
زارنا الربيع قبيل العاصفة..  
أو كما يقول غسان كنفاني:

"البقاء مع شخص تحبه وأنت تعلم أنك ستفارقه، كاللعب تحت  
المطر؛ ممتع، لكنك تعلم أنك ستمرض لاحقاً."

فقط نخشى إذا مرَّ اسمنا في خاطر أحدهم تداعى له الألم،  
تُرعبني كثيراً فكرة أن تقترن ذكراي بحزنٍ أو ألم...  
والنفسُ يا صديقي لا طاقة لها بصفعة أخرى وألم آخر.. والحياةُ  
ليست لنا طوعاً!!

## لستُ أنا

صوتُ بكاءٍ يملأُ أركانَ غرفته، يعجُ بحزنٍ قائمٍ، يجهشُ ألماناً..  
يترجلُ من شرنقةٍ سريره..

يناديها بصوتٍ خافتٍ، لمَ تبكين يا صغيرتي؟ تعالي إليّ أضمك  
بين ذراعي لأهبك دفناً..

توقفي عن البكاء وأنا سأذهبُ بكِ في الصباح إلى الحديقة،  
نهرول بين الحقول بينما يداعبُ نسيمُ الصباح خصلاتِ شعركِ  
الذهبية.. سنقطفُ الزهور ونأمل بزوغ الصباح ثم سأشتري  
لكِ دمية ساندريلا التي تشبهك كثيراً..

فقط أرجوكِ توقفي عن البكاء فصوتكِ يصيبني بصداعٍ ويمنع  
عني النوم...

يحثُ خطاه بتريث في أرجاء المنزل باحثاً عنها...

ثم يتذكر بأنه وحيد لا زوجة له ولا ابن..

يقبضُ بيده على يسار صدره ويرتمي على أريكته وهو يتمتم..  
أسف أسف، حاولتُ إلقاء اللوم على شخصٍ آخر وتجاهلك  
لكنني وحيدٌ وحيدٌ... توقف عن البكاء صغيري...

## لا بأس

لَقَلْبٍ حَزِينٌ..  
مَسَّهُ مِنْ وَغْتَاءِ الحُبِّ حَنِينٌ..  
لعاشقٍ بئيسٍ..  
لا أَمَلَ لَهُ فِي لِقَاءِ قَرِيبٍ..  
لمجهولٍ غَرِيبٍ..  
بالغِ فِي غَرَابَتِهِ حَتَّى بَاتَ عَنِ نَفْسِهِ غَرِيبٌ..  
لْمُهَاجِرِ بَعِيدٌ..  
يَجُنُّ إِلَى وَطَنِ لَا وَصَالَ لَهُ بِهِ سِوَى الحَنِينِ..  
لا بأس، يَوْمٌ آخِرَ لَيْسَ بِغَرِيبٍ وَلَا عَجِيبٌ!!

## وداعاً أنا...

ودعتك ملوحاً بيدي أرفرف بها  
على قيثارة الشجو، أعزفُ حديثاً  
خافتاً يسري ناحية صدري  
ليستقرَ على يساره، تتراقصُ  
المشاعر متخبطةً بين غدِ  
الانطواء، تتبعثرُ الأحلامُ على  
وَقَعِ حُزْنِي.. لم أكنُ أقصدُ  
وداعك أنت، كنتُ أودعُ  
ابتسامتي ومرحي وبشاشته  
وجهي، كنتُ أودعُ غيباً يتهللُ  
من أملٍ يقطنُ بداخلي...  
لوحثُ بيدي لوداعك لكني كنتُ  
أودع نفسي..!

## اغتيال

تظلُّ الأشجار محافظةً على جمالها ورونقها،  
تحتضنُ كل الأوراق بين جذوعها، لا تهدمها  
شدة الرياح ولا غزارة الأمطار..

تبقى كذلك طيلة ثلاث فصول ثم يأتي فصلٌ  
واحد لِيُنهي كل صمود ويبدد كل بهاء فتجفُّ  
الأوراق فتصبحُ هينةً رثةً تهوي بها نسمةٌ  
هواء..!

وهكذا هم بعضُ الأشخاص، يمرّون عليك  
فيغتالون بداخلك كل ثقة وكل إخلاص، يحمون  
كل حب وكل وفاء...

فيبددونَ كل شيء جميل فيك ويرحلون..!

## غروب مؤلم..

اعتدتُ أن أتلمسَ الأملَ في صديقي، فقد  
كان وجهه نابعاً بالأمل وابتسامته ساتراً  
للألم...

عيناه اللامعتان بغدٍ مشرق، ملامحه  
الباعثة بالسرور، وحديثه المبهج..

كان مبتسماً وسطَ وجوهٍ شاحبةٍ  
بالحزن..

سعيداً بينَ أباييلٍ من بؤس..

مُشرقاً لا يغربُ لحظةً واحدة..

أمطرتُ الأباييلَ وغابتَ الشمس، فباتت  
ملامحه تحكي كل مرادفات الأسي..!

## لقد عادوا... ولكن متى؟

حين تعتادُ على وحدتك وتتصالح مع نفسك مُستمتعاً  
بتعاستك، مُنزوياً بركن غرفتك، تكتبُ روايةً تُخطها  
في دُجى أحلامك..

حين يصبحُ الأرقُ خِلاً والنعاسُ عدواً والسرورُ حِيلاً  
والحزنُ رداءً يكسوك من صقيع السعادة المزيفة..

حين يغدوا كل ذلك عادياً وروتيناً يومياً سيحضرُ ذاك  
الغائب منذ زمنٍ بعيدٍ يطلبُ قُربك من جديدٍ ليُخرجك  
من عالمك الذي ولجت فيه بعد عناءٍ طويلٍ ثم يهوي  
بك مرةً أخرى لتتجدد المعاناة..

محالٌ أيها الغائب فنحنُ لا نموتُ مرتين!

## خُذْلَانٌ..

في الوقتِ الذي كانتَ فيه كلُّ الأمورِ جليَّةً كنتُ أضْمِدُ خذْلانَكَ  
بأعذارٍ رثَّةٍ اختلقها من وهنٍ خوفي لرحيلِكَ..

أويتِكَ بما تحملين من أذىٍ يخلقُ في القلبِ خراباً يجعلُنِي رُغَمَ  
تَرابُطِي أشلاءً ضالَّةً تُفْتَشُ عن شِقِّهَا الضائعِ بغيرِ هدى، تبحثُ  
عن قبلةِ قلبِكَ لتتهدي في طريقها إلى البَهْجَةِ..

أويتِكَ كثيراً على حسابِ ثِقَتِي وحسنِ ظنِّي.. حتَّى ما عادَ  
بداخلي فراغٌ يأوي إليه خذْلانَكَ..

واليومِ ها أنذا أقفُ بمُفردي عارياً من الحبِّ ومن الثقة، تسترُنِي  
الخبية بوشاحِ الندمِ، أعضُ على أناملِ قلبي حَسْرَةً وأُعْزِي  
نَفْسِي...

العزاء كل العزاء..

خالصُ العزاء لخبيتي الأبدية...!

## أيها الغرباء..

أيها الغرباء..

تعالوا نكتب لأنفسنا لقاءً حافلاً..

على قارعة الطريق نفترش مقعدنا..

نرص الكراسي الخشبية ونضع في المقدمة منصة صغيرة..

ثم نتقدم واحداً تلو الآخر؛ نقص الحكايات المكبوتة بداخلنا،  
نخرجها على هيئة نثر أو شعر أو قصيدة، أو حتى مشهد  
تمثيلي..

فليُخرج كل منا ما يُثقله..

لا ضوابط للحديث هنا ولا معايير لاقتناء العناوين..

لنتنفس قليلاً من قواميس الكتمان..

وحين ننتهي من الحديث سنكون قد أصبحنا أصدقاء..

حينها ستأتي مجموعة من العصابة ملثمين بأقنعة سوداء،  
حاملين بأيديهم عصياً من الفولاذ..

وبقوة سيضربون الجميع على رؤوسهم ضربة تؤدي إلى  
الإغماء وفقدان الذاكرة، حتى أنا الذي وكلتهم بذلك سأكون أحد  
ضحاياهم!

أسف أيها الغرباء لقد ارتكبتم جرماً حين أصبحتم أصدقاء..  
علينا أن نظل غرباء..!

## كيف ينتهي الشتاء؟

-حين يرسلُ إليك أحدهم:

اشتقتُ إليك وإلى حديثك الممتع ثم يختم رسالته بكلمة تحمل كل  
دفع العالم " أحبك " اعتنِ بنفسك جيداً...

-حين يطرقُ بابك صديقك الودود يدعوك إلى الخروج لاحتساء  
كوبٍ من القهوة في جانبِ الطرقات حيثُ جلسات الاستراحة  
تعلوها الأشجار الخريفية وصوت الهواء الخافت على قرع  
عجلات السيارات فوق الرصيف المبلل..

-السير برفقة يدٍ تدفئها يدٌ أخرى، تحتضنها بحب وبقوة كما لو  
أن حديثاً يدور بين تلك اليدين وكلٌّ منهما تقول للأخرى: أنتِ  
لي، ابقي معي..

فتسيرُ على أنغامِ الخطى فوق الأوراق الخريفية، وتتبادلُ  
أطراف الحديثِ بصوت هادئٍ كمقطوعة حبٍ دافئة....

فكرةٌ دافئةٌ جداً لم نعيشها إلا في خيالنا..!

## محكمة

- تأكد من إغلاق النوافذ والأبواب جيداً واخلو المكان بالكامل..  
فبعد قليل سوف يُعقد الاجتماع..

- كل شيء على ما يرام، وكل المحيطين بنا أموات سوف  
يبعثون مع شروق الشمس صباحاً..

- جيد، أسدل الستار حول مقعدنا بإحكام فقد تمطر السماء هنا  
وأخشى أن يرى ضعفك أحد ما..

- كل شيء جيد، لنباشر الآن..

-حسناً، كم مرة أخبرتك بأن تبتعد أشد الابتعاد، ارحل بعيداً..

غادر قبل أن يغادروك، حتى ترسيم الحدود التي زعمتها  
وقوانينك الخاصة التي فرضتها جميعها ستهدم على رأسك  
رويداً رويداً على غفلة منك، لن تصمد أبداً..

عليك بالرحيل الأبدي..

- لقد تلاشت الحدود ونُقِضت القوانين واحتُلَّت الأرض..
  - خذ ما تبقى من نفسك و غادر قبل أن تُغْتال أيضاً..
  - لن أفعل، أعلم بأن هذا اليوم آت لا محالة، لكنني سعيد بيومي هذا ولست أحمل هم القادم، سأعيش يومي بكل سويعاته ولحظاته حتى إذا انتهى كل شيء بإمكانني القول أنني كنت سعيداً في يوم ما..
  - غباء، غباء، يجدر بك أن تعتبر ممن مضى.. فأنت تلقي بنفسك في التهلكة..
  - ها قد بسقت الشمس، ابق بخير ولا تشغل تفكيرك بي..
- سنكمل الصراع غداً.
- في اليوم التالي:
- تكرر ذات السيناريو بكل التفاصيل القديمة، وكذا كان الأمر في اليوم الثالث.... الخ
- وجسدي وحده ضحية هذا الصراع ليدخل بعدها في أرق حاد.
- بين\_العقل\_والقلب

## هل المدرسة تُخدعنا؟

المدرسةُ تخدعنا!

تقولُ لنا "العلم خير من المال "

نمضي، نسير، نهول، نركض..

نجوبُ أرجاء العالم

نقتلُ راحتنا

وننحرُ وقتنا

ونفيءُ الأسطر اغتصاباً..

ننقشها في دهاليز عقولنا..

أفضينا من كل شيء..

ثم ارتحلنا ننظرُ ماذا سيصنعُ لنا علمنا،

فوجدنا أنفسنا نعكفُ على الليل نُجاري علمنا لأنفسنا ونو

الجهالة خطيبٌ في القوم يؤخذُ عنه العلم!

ولو أن نصف المجتمع انخدع بما انخدعنا به لما عز ذو جهل..  
فالجهدُ صنيعَةُ الْمُتَبِعِينَ.

## نهايات غريبة

طال الغياب وأن اللقاء..

بعثتُ إليها ببرقية دعوة لتناول العشاء في أحد المطاعم..

ورحلتُ أنتظر ردها، وفي تلك الأثناء راح تفكيري يخوض في رسم سيناريو الغد بتفاصيل دقيقة.. لم يكن هدفي مجرد لقاء ووجبة عشاء، كانت تحوم بداخلي فكرة أعظم من ذلك..

أرسلتُ تخبرني بقبول الدعوة بكل سرور..

استبشرتُ وذهبتُ ألملم أفكاري عاكفاً على الأوراق أصبُ عليها مشاعري..

أذكرُ حينها أنني استيقظت صباح اليوم التالي وسط كومة من الأوراق التي عكفتُ عليها في ليلي..

يمرُ الوقت ويحين الموعد..

جمعتُ الأوراق بين ملف مطرز بالزهور، فأصبح يبدو كصندوق هدية..

خرجتُ اترنحُ وكلي سعادة تجوبُ أرجاء أفكاري..

ها هي ذي تُقبل قريبة من باب المطعم، أسرعتُ قليلاً لألحق بها..

ألقيتُ عليها السلام وأشرتُ لها بالدخول..

نصبنا جلستنا على طاولة في زاوية المطعم.. تبادلنا أطراف الحديث قليلاً قبل أن يقاطعنا النادل بابتسامة عريضة مقدماً إلينا لائحة الطعام وانتصب ينتظر اختيارنا..

أحضرتُ لها وجبة من البييتزا بينما طلبتُ أنا كوباً من القهوة مدعياً أنني أمرٌ بحميةٍ غذائية..

حضر الطعام وبدأتُ في تناول وجبتها بنهم.. وبينما هي كذلك ارتشفتُ رشفةً من القهوة وأخرجتُ الأوراق من الملف وبدأتُ أقرأ عليها ما أمكنني مما كتبتُ البارحة.. كنتُ أقرأ وأنا مطأطأ الرأس خجلاً.. وفجأةً سمعتُ صوتاً يشبه زخات المطر.. انتابني فضول فرفعتُ ناظري إليها...

إنها تمطر! عيناها تذرف الدمع.. لم أكن أتخيل أنها رقيقة المشاعر إلى هذا الحد.. لم أتخيل أنها تُخفي خلف ابتسامتها المستدامة فيضاً من المشاعر المرهفة..

آلمتني دموعها فأردتُ تلطيفُ الحدث فرحتُ أقصُ عليها  
الطرائف والحكايات المسلية.. فجأة توقفت عن المضغ ورمقتني  
بنظرة حادة وقالت:

الطعام حار جداً، اذهب واحضر لي كأساً من العصير!!

## تنهيدة

على سفوح ليلية باردة  
تتدلى عواصف من  
الذكريات القاتمة..

أزيرُ من المشاعر يهزُّ  
كياني ..

سيولُ من الأفكار  
الجارفة تحتوي أنفاسي  
ما بين ملامة وثبات..

فتغرقُ أنفاسي تارةً  
وتتجمدُ تارةً أخرى..

وما بين كل فصلٍ وآخر  
تنهيدةٌ طفيفة تحكي كل  
شيء!..!

## كيف أخبرك؟

عزيزتي..

كيف يمكنني إخبارك أنني مُثقل؟

مسجونٌ أنا بين جُدرانِ أفكارِي..

تجتذبنني في أفاصها حيثُ وقعتي..

كأنني بالأفكارِ ثملٌ أو مجنون..

وددتُ أن أخبركِ بأنني لستُ على ما يُرام

وأنني بالحزنِ أروي بؤس الآلام..

لكنَّ ابتسامتكِ تردعني..

أنتي لي أن أخفي ثنايا ثغركِ عن ناظري..

حزنيكِ يا عزيزتي أشدُّ وطأةً من ألمي..

فأنتي لي أن أخبركِ بأنني مُثقل!؟

## إلى الورااء...!

إلى الورااء عزيزتي..

حين كنا نهول مختبئين خلف باب منزلنا

تتصاعد أنفاسنا، ولست أدري أمن فرط الإجهاد أم من فرط  
الخجل..

أنظر إليك، تبدين قلقةً جداً، ترتعد فرائصك خوفاً.. أنظر إليك  
وأتمنى حينها أن أربت على كتفك لأقول لك:

لا تقلقي لن يمسك بك أحد فأنا معك...

لكنني لم أفعل!

إلى الورااء عزيزتي..

حين كنتِ تقفزين بمرح وسعادة فوق خطوط المربعات بينما  
هناك قلب مرهف دُلل إحساسه لك يتوقف عند كل قفزة خوفاً  
عليك من الوقوع!

إلى الورااء عزيزتي..

حين كنت تتمرجحين بكل تهور، تُحلقين إلى الأعلى حتى  
يحاذي رأسك سقف الغرفة التي بجانبنا..

ومجدداً أنظر إليك بصمت ولا مبالاة بينما يغشاني خوف شديد  
بداخلي..

كنت أود أن أصرخ في وجهك وأقول لك كفى فأنت تقتليني  
خوفاً..

لكنني أيضاً لم أفعل!

إلى الحاضر عزيزتي..

تماماً أنا ما زلتُ أنا، لم أفعل أي شيء، وتركتك ترحلين بكل  
هدوء..!

## خِذْلَان

كَانَ كُلَّمَا خَذَلَهُ الْعَالَمُ يَهْرَعُ إِلَى شَخْصِهِ الْمُفَضَّلِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ  
كَلِمَةً دَافِئَةً يَنْفِضُ بِهَا أَكْوَامَ الْجَلِيدِ عَنْ صَدْرِهِ..  
فِيَعْتَذِرُ لَهُ نِيَابَةً عَنْ كُلِّ الْعَالَمِ.

رَأَيْتَهُ الْيَوْمَ وَحِيداً، قَائِعاً بِرُكْنِ غُرْفَتِهِ، مُتَقَوِّعاً حَوْلَ نَفْسِهِ..  
لَمْ يَكُنْ يَهْمِسُ بِشَيْءٍ..

لَكِنَّهُ بَدَأَ كَأَنَّهُ يَنْتَظِرُ شَيْئاً مَا...  
كَأَن يَنْتَظِرُ مِنَ الْعَالَمِ أَنْ يَعْتَذَرَ لَهُ!

## نصفُ العمر في ورقة

منذُ أن بلغتُ الحبو وبدأتُ أدركُ صغائرَ الأمور وجدتُ أمامَ  
مسامعي وفؤادي الصغير تزييناً للمدرسة وتعظيماً لها حتى  
شعرتُ بأنَّ جلَّ السعادة رضخت بين أروقة المدرسة..

ترسخت الفكرة في رأسي وتفرعت جذورها لتحتلَّ أنحاء  
جسدي..

فهذه يدي تكتب للمدرسة وقدماي تسعى إليها ورأسي بكل  
حواسه يرتمي في جنباتها..

تربعثُ على عرش المراحل، مرحلة تلو المرحلة..

وبعد مرور سبعة عشر سنة جمعوا كل أرق وكل ألم وكل ضيق  
وكل كمد ونكد في ورقة صغيرة وملؤها بالتوقعات والأختام  
وقدموها بين ذراعي..

تسلمتها بفرح وسعيثُ أتقل بها بعناية شديدة من شركة إلى  
أخرى من مكتب إلى آخر...

فما احتضن شهادتي إلا حائط منزلنا الذي أقف قبالة كل يوم  
أتمتم عليه أذكراً فضة في كل صباح ومساء...

## خوفٌ من الألم

أحاطتُ بنا قضبانٌ من الأسي  
حتى يتنا أسرى في زنزانة  
تملؤها فيضٌ من الأفكار  
المتناثرة في كل مكان.. ف غداً  
الفراغ الذي يفترض أن نرنوا  
فيه إلى كتلة من العذاب...

كنا نظن بأن كسر القضبان أشد  
إيلاماً... لكننا أدركنا بأن كسر  
القضبان ألمٌ مؤقت وسيزول..  
لكن البقاء في القاع ألمٌ يستمرُّ أبد  
الدهر...

## الماضي في حضرة الحاضر

لمحنتُ ملف دردشتك أسفل زاوية الهاتف...  
بدا عليه القَدَم.. فقد اعتراه غبارُ الأيام حتى أصبح صدأً بالياً لا  
تتحرك له ذرة مشاعر..  
ولجتُ فيه..  
تصفحته لبرهة من الزمن..

استوقفتني إحدى الرسائل فتمعنت وأطلت التأمل فيها وكلي  
صمت مدقع، فجأة أصابتنني هستيريا ضحك.. أصبحت أسير  
في أرجاء الغرفة وأنا أقهقه.. ثم أردفتُ متكأً على حائط غرفتي  
والذي اعتدتُ أن أتعهده في كل مرة أنتهي من الحديث معك..  
سخرتُ من نفسي كثيراً، كثيراً جداً ولو أن الحائط تحدث  
لتعجب من فرط التغير الذي طرأ عليّ، إذ كان كانت العادة أن  
أصقل أطرافه بأدمعي وأبث له سيلاً من الأحزان التي تورقني..  
سخرت وسخرت ثم تساءلت..

أهذه الرسالة التي كانت تأسرني في عالم كالح السواد؟! حتى  
زيف الابتسامة كان منعدماً فيه!

حينها أدركت أن العالق في شيء ما لن يرى حقيقته إلا إذا  
خرج من معقله وراه من الخارج .. والعالقون في الأشخاص  
عليهم الابتعاد كي يروا كل شيء بوضوح..!

## هلوسات

جالساً القرفصاء..

مُدّرعا بوسادتي..

أتأمل حلقة ظلامٍ يحتويه

صور..

أصوات.

كلمات..

لا أحد يرى شيئاً في ظلام كهذا..

المصابون بالهلوسة هم من يُدركون هذا...

مثلي تماماً.. !

كيف يمكن لظلامٍ يحتوي على تفاهات كهذه أن يُصيب جسدي

بهذا الجمود!؟

كيف لها أن تعتريني بشلل وتخطفني إلى عالم آخر؟

أُطرُ السماء هنا؟..

أَيخترق الماء كل هذه الأسقف ليستقر على راحة يدي؟  
أتسكنُ روحك راحةً لتغلق أجفانك بعد كل هذا!!!؟

## أين ألقاك؟

طالت الذكرى واشتد الشوق ونفد الصبر وهاجت الروح  
تناز عني الأرق..

حملت نفسي وما بها من أوزار مهاجراً إلى حيث أجدك..  
لا أعلم أين استقر بك المطاف لكنك حتماً تتواجدان في مكان  
ما من هذا الكون..

خرجتُ أتلمل أجب الطرقات مترنحاً يمناً ويسرة، أرمق كل  
شيء أمر به، الأحجار المرصوفة على الطريق والجدران  
الملطخة بجداريات الحب والذكريات المزعومة.. هؤلاء قوم  
حين فاضت بهم الذكرى أفضوها في الجدران وانصرفوا بينما  
خرجت أنا أبحث في متاهة!

أتراني أجدك تتكئين فوق أغصان الأشجار؟

أم ألقاك تفقزين فوق خطوط طريق المارة...

أم ألقاك تركضين خلف الفراشات التي تحوم حول أعمدة  
الإنارة؟

كان كل شيء يُنذر بمروكٍ من هنا.. وكان كل شيء ينذر أنك  
لم تعودى هنا.. وكان علىّ تقبل هذه الحقيقة غير أنني غلبنى  
لهيب الشوق فى خافقى فأنسانى مرارة الواقع وعلقنى بآمال  
مستحيلة!

## ماذا طرأ عليه؟

كان بشوشَ الوجه، مرح الشخصية، يختلقُ المرحَ من جُب الألم، يزجرُ التعيسَ لتعاسته ويهفو يعانقه السعادة بين دهاليز الحزن..

لستُ أدري كيف تحول ما بين ليلة وضحاها إلى شخص هامد معتكف في صومعة صمته، مُعلنًا الانتقال إلى فصلٍ آخر!  
لم يكن يملأ تفكيري سوى معرفة ما مر به حتى يغدو شخصاً آخر لا نعرفه؟!

أشحتُ ناظري عنه ببؤس وتمتمتُ:

ويلٌ لمن أرداك حبيباً بين قضبان تعاستك!

## أرق

استيقظت مرعوباً على صرخات صديقي وقوة ضرباته على جسدي بينما تعابير وجهه تكتحل حزناً..

انتصبت أرمقه بنظراتٍ تملؤها الدهشة والحيرة.. فما إن رأني مستيقظاً حتى هدأ روعه واستعاد أنفاسه..

دقيقة صمت حتى أردف يعتذر مني قائلاً: آسف يا صديقي آسف... حمداً لله أنك ما زلت على قيد الحياة... ظننتك ميتاً فأنا لم أعتد عليك النوم، اعتدت في كل وقت وحين إذا ما استيقظت لقضاء حاجتي ألقاك تنظر إليّ وتبادرنى بسؤالك:  
هل أنت بخير.

اعتدت على رؤيتك في أرقٍ دائم..

تهلل قلبه فرحاً بينما هو يلفظ كلماته:

سعيدٌ لأنك تجاوزت هذا الأرق يا صديقي.

شكرته لاهتمامه بأمرى وأنا أهمس بداخلي:

كيف لي أن أشرح له أنني نمت متأملاً على عدم الاستيقاظ مجدداً..

## فقدانٌ و لقاء

كانت الساعة الثانية عشر ظهراً حين استيقظت بعد غفوةٍ صغيرة..

استيقظتُ وأنا أفقد طرفاً كاملاً من جسدي، امسح على عيني بهلعٍ شديدٍ محاولاً التعذر بضعف نظري وتشوشه ما بعد الاستيقاظ..

يدي اليمنى لم تكن هنا..!

أراها هنا مرفوعة إلى الأعلى من المعصم إلى الأصابع لكني لا أشعر بها مطلقاً، كانت محاولة تحريكها كمحاولة تحريك شيء آخر لا علاقة له بجسدك مطلقاً.. كجماد التصق بجسدي..

لم تكن جزءاً مني كانت قطعة أخرى غريبة تماماً عن جسدي..

تلمستها بيدي الأخرى وبلطف ورعب ينخر بداخلي وضعتها على الوسادة بهدوء كمصاب بصدمة لا يقوى على الفوضى لكن سكونه يحكي كل الفوضى العارمة..

بدأت أتخيل الحياة بيد واحدة فقط..

تذكرتُ جاري المصاب بإعاقة في يده.. عندها فقط شعرت  
وكأنني عشت حياته كاملةً بكل ما تحمله من معاناة..

يا الله كيف يحتمل عبدك هذا كل هذه المعاناة ثم يخرج علينا  
بكل صلابة مرسومةً على وجهه ابتساماً عريضة..

فكرت في والدي..

محتارٌ جداً عن كيفية إخبارهم بهذا المصاب..

كيف سأزف إليهم هذا النبأ المحزن حتى إذا أخبرتهم لا يصابون  
بصدمة..

ماذا عن أمي بالتحديد؟ كيف لها أن تحتمل رؤية عنائي وهي  
التي إذا مستني الحمى تزاورني الليل سهرًا..

والآن ماذا ستتصع؟ ستسهرُ دهرًا..!

الآن وقت صلاة، وهذه أولى حاجة سأقضيها بمفرد يدي  
اليسرى فقط..

ترى كيف سأتوضأ بيدي واحدة؟

نظرت إلى يدي وهرعت اضربها بيدي الأخرى..

أناجيتها بأن تصحو من سباتها الموجه..

ما كان يُسمع لي صوت، لكنني من الداخل مليء بضجيج كل  
ما يقطن الأرض من ضوضاء..!

أصرخ مستغيثاً:

يا الله.. يا ربي إني عبدك المضطر، رباه أنت المعطي وأنت  
المنعم.. رباه إني لو تعبدتك صباح مساء ما وافيت حقك وشكر  
نعمك، فعاملني برحمتك لا بعدلك يا الله..

حركت يدي مرة أخرى..

ثانية، ثانيتين، ثلاث..

أخيراً أصبحت أشعر بوجودها، ثم عاد كل شيء إلى ما كان  
عليه..

كانت ومضة لحظات اجتمع فيها كل متضادين..

رعبٌ وأمان، حزن وسعادة، فقد ولقاء...

كانت محض ثوانٍ معدودة استوعبت فيها فضل الله عليّ ما لم  
استوعبه في محاضرات عليّ مدها..

محض ثوانٍ تلاشت فيها قوتي و غروري و شعرت بضعفي  
الشديد و أنني حقا كائنٌ لا حيلة له بشيء..  
شكرا يا الله على كل نعمة أنعمت بها علينا..

## نحنُ الخائنين

أبدًا لم يكونوا هم الخائنين..

كنا نحنُ الخائنين حين فتحنا لهم الأبواب بعد أن عاهدنا أنفسنا  
أن تبقى مغلقةً إلى الأبد!..

نحنُ الخائنون حين قَبَلنا قرايين أَعذارهم بعد أن وعدنا أنفسنا  
أن لا نقبلَ عذرًا..

نحن الخائنون يا صديقي حين حُنا أنفسنا بنقضنا العهد..  
ومن هانت عليه خيانةُ نفسه هان على الآخرين خيانة!

## العاطفة

إن من أشدِّ الأمورِ ضراوةً أن يُبتلى الإنسان بسطوةٍ عاطفته..

حنينٌ يقود إلى الهلاك..

وحبٌ يقود إلى الجنون..

وشوقٌ يقود إلى شرود..

الأمرُ أشبه بطفلٍ يتأملُ الجمرَ متلاًلاً يُشع نوراً يسرُّ ناظره  
فيسعى نحوه فتزجره أمه وتُثنيه وتعظه، كانت الأم محل إدراك  
تحارب عاطفة طفلها...

كبرنا ولا زلنا نعاني من عاطفتنا ولكننا أصبحنا نحارب  
بمفردنا، فقدنا إدراكنا فاستحوذت علينا العاطفة.

## أُمِّي

يا جنةَ الخُلدِ في قلبي..

وجنةَ النعيمِ في جحيمِ دنياي..

أنتِ رحمةَ اللهِ بي بينَ هذا العذابِ..

يا ملجأَ فؤادي من ذروةِ الحربِ بينَ كَدْرِ الحياةِ..

يا أملاً يُضيئُ ظلمةَ يَأْسِي..

لا أمانُ الدنيا يعوضُ أمانك ولا رغدُ الدنيا يُستبدلُ  
بحنانك..

إن الحديثَ عنكِ يا أمي طويلٌ لا تنضبُ ذِكرَاهُ، جميلٌ  
لا يُملُ تدوينُهُ..

لكنَّ الحياةَ التي وهبتها لي أعظمُ وأرفعُ من أن تُحصرَ  
بينَ الكتبِ والأوراقِ..!

## مَسَافِرٌ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ

صادفته عند الشاطئ ليلاً..

كان يبدو أنيقاً، يرتدي معطفاً بنياً وبنطالاً أسود يحيط بخاصرته  
حزام تتوسطه قلادة ذهبية..

أدعج العينين، شاحب الوجه، تحيط بوجنتيه هالة شديدة السواد  
ذو شعر أسود ولامع، ووجه مستدير..

كانت خطاه تبدو ثقيلة كطفلٍ يحاولُ السير، شدني فضول نحوه  
لأتعرف عليه..

ألقيتُ عليه السلام ووقفت بجانبه، بدا عليه الارتباك حين تتمم  
برده، كان صوته متنهداً تظغى عليه رجفة خجل..

يبدوا وكأنه لم يخالط أحداً منذ زمن.. تحدثنا لبرهة من الزمن  
كنت حينها أبدو كالمحققين انتزع الكلام منه انتزاعاً..

سألني عن سبب خروجي في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

أخبرته أنني أعاني من أرق شديد يمرُّ بي..

أعدتُ عليه سؤاله فاستهواه الصمت لبرهةٍ من الزمن، بدا وكأنه يفكر في اختلاق سبب أو في تحفظه عن الإجابة...

لحظات من الصمت استهوت حديثنا المفعم قاطعتها نبرة صوت كحفيف الأوراق في الخريف:

إنه السفر يا صاح، ألم تلحظ خروجي وأنا بكامل أناقتي؟ فأنا أستعد للذهاب إلى رحلة طويلة جداً يا صديقي..

فبينما هو يقص علي تفاصيل رحلته المبهمة صمت للحظة من الزمن، بدا وكأنه تذكر شيئاً ما، وبدون سابق إنذار بادرني بسؤاله:

هل تجيد السباحة؟

أجبتُه نافياً: لا أجيد السباحة.

شاح عني بوجهه وترجل من مكانه وقال لي سأقوم بجولة سباحة في البحر لعلني أنتشي قليلاً من الأمل..

ثم دنا مني حتى أوشكت عيناه أن تلج في وجهي فأوجست خيفة في نفسي، همسَ في أذني بجملة مبهمة المعنى قائلاً: من الجيد والمحزن في الوقت ذاته أنك لا تجيد السباحة!

ثم ابتعد عني وهو يهرول وقبيل أن تطأ قدمه شاطئ البحر  
صاح بصوت عالٍ: لا تحزن يا صديقي حتى أنا لا أجيد  
السباحة!!

## ما زلت أنتظرِكَ

ما زلتُ أنتظرِكَ..

منذ الأمس ربما أو قبل ذلك..

لستُ أدري منذ متى لكنني أعلم أنني ما زلت أنتظرِكَ..

أنتظرِكَ حيث تجتمع كل الخيبات..

عن ميمنتي حفنة من الأوراق وعن يساري أوقية من الحبر  
وحولي أسراب من الحمام تُمطرني بريشها الناعم...

اصطدتُ بيدي ريشة واجتذبتُ بيدي الأخرى قبضةً من  
الأوراق فأخذت أنقع الريشة بين أوقية الحبر وأنقشُ بها رسائل  
قد تصل وقد لا تصل..

نفدت الأوراق وجف الحبر واشتدت الرياح بأوراقِي..

همهمت في نفسي متمنياً أن تأخذ رياح الأمل رسائلي نحوكَ..

لكنها دُفنت في تراب الخيبة..!

## اعترافٌ مفاجئٌ

قد يطول الكتمان يا  
عزيزتي..

لكنّ الوقت كفيلاً بأن يغير  
مجرى الأمور دون أن  
نشعر...

هكذا فجأة وبدون أي  
مقدمات سأجذني أتلعنم  
واقول لك انتبهي لنفسك  
فإن بها نفسان!

معذرةٌ عزيزتي فإن  
الأوراق قد كُشفت واهترأ  
كتمانها وتلاعبت بها  
رياحُ الاشتياق حتى  
ظهرت للعيان...

## نُغَةُ العَرَفَةِ

بعد حفل طويل من السعادة والفرح وبعد أن تفرق الجمع  
واجتمع الرجل بزوجته، تبسم في وجهها ابتسامة تشبه سعادة  
طفل برؤية أمه بعد طول بكاء..

ضم يدها إلى يده، فاحمر وجهه خجلاً كاحمرار الشمس عند  
الغروب

وبصمت تام أخذ بيدها ناحية إحدى الغرف ثم رفع يدها وأخرج  
بيده الأخرى مفتاحاً ذهبياً ووضعها على راحة يدها وببطء شديد  
وحنان أخذ يلف أناملها لتضم المفتاح بيدها..

صمت قليلاً ثم مسح على وجنتيها بحب، وجعل عينه صوب  
عينيها كأنما يتأمل نجوماً تسير على الأرض وتسكن إليه، ثم  
أردف قائلاً:

عزيزتي، يا عزيزةً أينما حللت، يا بدرأً يضيء عتمة فؤادي،  
أيتها العزيزة هذا قلبي يخشع ثرى مملكته بين مقلتيك..

إننا سنعيش معاً، لا ريب في ذلك..

سنعيش بالحب الذي سيولد قبول الآخر لنفسه الأخرى بكل ما يفرقه الاختلاف، لا لشيء إلا لأنه يحبه ويرجوا قربه أبد الدهر..

وكعادة الحياة فإنها لا تخلوا من المعضلات..

فإن جاز وخسف عني قمرك دون إرادتي فإنني لا أرجو منك إلا أن تفري إلى هذه الغرفة..

شدت بمعصمها تقبض على ما في يدها من لغز.. وتعابير وجهها خريطة استفاهم مجهولة..

مضى على هذا الحدث فترة وجيزة فلم تحتل الفتاة ما يؤرقها من تساؤلات عن ما تخفي تلك الغرفة الصغيرة..

ثم قررت بأن تستكشف ما بالداخل لتحل هذا اللغز..

وبعد طول تفكير وتردد عزمت على فعلتها فلم تر نفسها إلا وقد فتحت الباب ببطء، وعند أول نظرة تغشتها دهشة ممزوجة بوقار الحب..

كانت الغرفة مفروشة بصوف شديد النعومة، تتدلى من أعلى السقف إنارة خافته جُمع فيها ألوان الطيف السبعة تتشكل على قوس قزح..

ما إن تدخل حتى تحيط بك عن اليمين وعن الشمال ورود تسير  
بينها في خط مستقيم تقودك نحو طاولة خشبية مصنوعة من  
خشب الأبانوس

وكرسي خشبي هزاز، وعلى ظهر الطاولة ورقة مطرزة  
بنقوش وردية مثبتة بقلم رفيع من الطراز الذهبي المرصع  
بألماسة منحوت فيها ملامحها..

كانت الجدران مليئة بصور محاطة ببراويز متعددة الألوان،  
وفي كل صورة مرفوق أسفلها تاريخ ووقت..

كانت الصور عبارة عن كل لحظة سعيدة جميلة بهية شعر كل  
منهما بجمال تلك اللحظات.. فقد كان الزوج يتخفى ليلاً ليقوم  
بتعليق كل لحظة أخرى سعيدة..

مضت الزوجة تسير نحو الورقة لتقرأ ما بها..

كانت الرسالة تحتوي على النص التالي:

مرحبا عزيزتي، السلام على عينيك الحزينة، السلام على سماء  
وجهك الممتلئة بغيوم الحزن، هل خسف القمر حزناً دون إرادة  
مني؟

هل تمعنّت في الجدران الممتلئة بسعادتنا؟

ما رأيك بأن نبرم اتفاقاً؟

إن لك ديناً عندي بأن أجعلك تعيشين أضعاف هذه اللحظات  
فرحاً مقابل هذه اللحظة التعيسة التي سببتها لك..  
القلم بجانبك، امضِ العقد إن شئت..

## أخشى أن أقع..

منذ رأيتك للوهلة الأولى ومنذ حديثنا الأول، لحظة أن تهلّل  
قلبي لكلماتك وأنا أخشى الوقوع..

أخشى أن أحبك فيشتعل فؤادي شوقاً لك إذا ما غبت يوماً أو  
تأخرت في الرد قليلاً..

ستملئين قلبي شغفاً بك..

والهاتف الذي هو ملكي ستصبحين أنتِ شغله الشاغل..  
فتتملكينه..

أليست إعادة أن من يملك المعلومة يكسب الحرب؟

فما خطبي أعلم كل شيء والضرر العائد عليّ ولم أستطع تجنب  
كل ذلك وهُزمت؟!!

الحقيقة أن ما نخشاه هو ما نقع فيه فالحوف نتاج الضعف!!

## شَيْءٌ مَا تَغْيِيرُ

لم تتغيري يا عزيزتي..

ما زالتُ عيناكِ تبادلني ذات النظرات الساحرة وما زالتُ  
أساريُّ وجهك تبرز عند رؤيتي..

ابتسامتك المفعمة بالسعادة، حديثك الشيق الذي تجيدينه بتألق،  
ونبرات صوتك الممزوجة بألحان الحب.. كلها ما زالت بينة..

لكنّ كلماتك لا تجيد حفظ السيناريو فلا قوة لها على الحفظ...

لقد هرمت كلماتك يا عزيزتي فما عادت تقوى على إسعادي،  
ربما نضب نهر المودة التي كانت ترتوي منه..

## هل صدقت؟

قد طُمس على قلبه بالحب فأمن يقيناً أن ثمة شخصٌ يحبه، فبات يهيم غارقاً في أملٍ سيرديه قتيلاً إذا ما اندثر عنه.

احترت كثيراً كيف أشرح له أن يزيل عن عينيه ضباب الأوهام ليرى الواقع بحقيقته..

كيف لي أن أصارحه بالحقيقة البشعة، فهو أشبه بمحطة انتظار يلتف من حوله الناس فيرخون بظهورهم عليه ويفيضون بالأحاديث وتتعالى الضحكات ونفسي الأسرار.. وحين يحين موعد القطار لن يتسنى لأحدهم أن يقول له وداعاً!!

فهو لم يكن سوى بديل مؤقت!

## إنها تمطر

لم أشعر بها حين أمطرت..

لم أدرك إلا آثار حقول المياه المتركمة على وجنتي..

لا شيء يؤلمني من الداخل..

لا عشق يعتريني ولا حب يستهويني ولا ذكرى تشعل لهيبي

لقد مات كل شيء منذ زمن.. أصبحت هامداً تقودني أمور  
محسوسة في واقعي كقطعة جماد يُحركها شخص من مكان  
لآخر وتحركني أمور محسوسة...

بالأمس غضب مني صديقي لحديثي معه بكل برود وهدوء إن  
لم يكن بلا مبالاة! .. يسألني ما كل هذا البرود؟ فأجيبه ليتني  
أعلم ليتني أدرك.. لكنها تبقى أمور مبهمة يا صديقي!

## كنا بخير..

كنا بخير حين كنا تعساء، لم نكن ننتظر عودة غائب أو تحقق حلم أو تغيير أمر ما..

كنا نعيش متصالحين بكل ما يمر بنا بمختلف الأحداث..

أكانت فرحة دبت من حيث لا نشعر أم جائحة مصائب التوت على أعناقنا، لم يكن يورقنا حزن أو يُسهرنا انتظار، كنا نكتفي بوضع رأسنا على الوسادة دون أن ينبس تفكيرنا بشيء، فلم يعد هناك روح للتفكير.. لقد كنا سعداء جداً حين كنا تعساء... كنا بخير إلى أن تأملنا..!

## لا تكن متاحاً

لا تكن متاحاً في كل لحظةٍ وحين، متى ما شدت إليك الحاجة هرولوا نحوك متصنعين كل مفردات الحب ومتى ما انتهوا منك رجموك وحيداً بين أعداء مشاق الحياة وكأنك لم تكن..!

في بعض الأحيان عليك أن تُعلم أحدهم درس الفقدان، الفقدان دون عودة، لن يستطيع إعادتك لكنه سيكون حذراً من فقدان آخرين من بعدك..

المتاح دائماً ليس في الذاكرة!

## ليس كل شيء يُمحي..

بيننا وبين ذاك الغد البعيد

ماضٍ نكص على أعقاب دربنا، فافترش غبراء الطريق يصد  
السالكين..

بإمكاننا محو كل ما رسمناه في الذاكرة... إلا أن هناك ماضيًا  
يأبى الرحيل.. محونا الكثير عدا ذاك الجزء المتشبث في  
جدران الذاكرة.. ذاك ماضٍ جازفنا من أجله بالأمنيات وبدلنا  
فيه كل الآمال..

ليس كل شيء يُمحي، فهناك ما استنزف منا كل آيات النجاح..!

## معادلة الحب

المعادلة:

الحب

المعطيات:

اشتياق حزن

أرق ذكرى خفقان

سريع في القلب

عند ذكر بعض

الأسماء..

النتيجة:

موت ببطء..

## أزهر قلبي

دار الحول على بعضه سنيماً  
تعض على بعضها تلو البعض،  
آنذاك كنت وحيداً عنك يملؤني  
الفراغ ويربت على أضلعي أمل  
اللقاء، كنت أخشى على فؤادي  
الصغير غيابك، أخاف عليه من  
هذا البرود الكامن..

لكنه أزهر من بعدك

فما عاد هناك من يقطف زهوره، لقد أزهر  
قلبي

## سجناء

نحن سجناء

سجناء أنفسنا في صومعة أفكارنا، قد يبدو أن العمر يمرُّ سريعاً،  
لكننا نشعرُ به يمرُّ بتريث ومهل مدقع..

لن ننال حريتنا بحفنة من الأحرف المصطنعة بجداريات  
المشاعر.. فقد هرمننا من الداخل منذ قرون..

لن تعيدنا الكلمات فنحن نفتقد إلى شيء آخر أعظم من الكلمات  
وأعظم من المواساة.. نحن نفتقد إلى أشخاص كانوا لنا كل شيء  
فأصبحنا بلا شيء...!

## أين اللصوص..؟

شاهدت جدتي ذات مرة تخفي بعض النقود بحرص شديد فقلت  
لها لماذا تفعلين ذلك يا جدتي؟

قالت لي كي أخفيها من اللصوص، فاللصوص سيسرقونها إن  
رأوها..

ومنذ ذلك الحين وأنا أظهر حزني علّهُ أن يراني لص فيسرق  
حزني...!

## خبيبة سريعة..

هذا الخريف  
يا عزيزة قلبي  
يا وحيدة فؤادي  
يا أرجوزة  
حديثي..

جاء الخريف  
ليحدثني عنك،  
ليخبرني أنك هنا  
ولو عصف بنا  
ألف خريف  
وخريف.. لكنه  
مر سريعاً فبعد  
سقوطك سقطت  
أنا وانقضى  
الخريف إلى  
الأبد.. لقد كانت

الأمنيات أساطير  
أمل..

## بداخلي غيمة

وأنا يا صديقي أشبه الغيوم إلى حدٍ  
كبير...

فهي تبدو رخوة كالدخان تسبح في  
الهواء..

بينما تزن أطناناً من الكيلو جرامات..  
وأنا قد أبدو أسير وحيدا فارغاً لا يملئني  
شيء..

بينما تتزاحم بداخلي كل ضوضاء  
العالم..

قد أبدو مرحاً خفيف الظل بشوشاً...  
لكنني أفعل كل ذلك لأتحاشى نظرات  
الناس..

الفارق الوحيد أنها تمطر بينما أنا لا..

## رحلنا كُرْهاً

لم نرحل بين ليلة وضحاها..

لم نكن يوماً نبتغي الرحيل عن سعادتنا..

حاولنا قدر الإمكان إن لم يكن فوق الإمكان أن نتشبث بأدنى  
مبرر نختلقه...

حاولنا أن نلتمس ما يمكن وما لا يمكن أن نلتمسه من الأعذار..

حاولنا... ولكن قاموس الأعذار نفذ..

حاولنا.. ولكن يداً واحدة لا تُصفق!..

## ترنيمات قصيرة

لم أكن أتخيل أن النجوم تسير على الأرض إلى أن صادفتُ  
مُقلتيك.

\*\*\*\*\*

زرقاء ك سماء صافية في صدر الربيع، رمادية كسحبٍ مثقلة  
بالماء.. كما لو أن لونين يتصارعان بداخل عينيك، فانتهى بهما  
الصراع إلى هدنة دائمة أصبحت على إثرها أتأمل السماء في  
عينيك نهراً والسحب الماطرة ليلاً..

\*\*\*\*\*

إن كانت كلُ الطرق تؤدي إلى روما..

فإن كل الجمال يؤدي إلى عينيك

\*\*\*\*\*

عرفتكِ كأنني لن أنساكِ أبداً

ونسيتكِ كأنكِ لم تكوني يوماً!

\*\*\*\*\*

لا شتاء يؤلمني ك شتاء ذِكرِكِ المتحجرة على يسار صدري..!

\*\*\*\*\*

كل الطرقات التي مررتُ بها أصبحتُ تعرف حكايتي معك!

\*\*\*\*\*

تنهدتُ بين نسائم الاشتياق متمتماً:

ليتَ غيابك يمرُّ سريعاً كما مرَّ حضورك..!

\*\*\*\*\*

وحدكِ تجعليني أعرف من أنا، وأجهل أنا، وأكره أنا، وأنسى  
من أنا..!

\*\*\*\*\*

كنتِ الركنِ المضيء الذي أرنو إليه هرباً من ضوضاء العالم..  
لستُ أدري كيف انتقلَ كل الضوضاء في هذا الركن الصغير  
الذي كان مضيئاً في يوم ما..!

\*\*\*\*\*

حين أذكر اسمكِ يعتريني فصلاً الحزن والسعادة في آنٍ معاً!

\*\*\*\*\*

أَوْ تُدْرِكُ الشَّمْسُ القَمَرَ؟

أَوْ يَسْبِقُ اللَّيْلُ النَّهَارَ؟

أَوْ يَلْتَقِي خَطَانُ مِتْوَازِيَانِ؟

أَوْ يَجْتَمِعُ الشِّتَاءُ وَالصَّيْفُ فِي مَكَانٍ وَأَنْ مَعًا؟

أَوْ التَّقِيكَ عَزِيْزَتِي؟!

\*\*\*\*\*

لَسْتُ سِوَى وَهْمٍ عَابِرٍ وَكُنْتُ أَنَا مَحْطَتَهُ الْأَخِيرَةَ!

\*\*\*\*\*

كَجَنْدِي أَعْزَلَ وَقَعْتُ فِي أَسْرِكِ دُونَ أَيِّ مَقَاوِمَةٍ!

\*\*\*\*\*

ثُمَّ إِنَّكَ يَا عَزِيْزَتِي حَالَةٌ مُسْتَعْصِيَةٌ عَجَزَ دَوَاءُ الوَقْتِ أَنْ  
يَدَاوِيَهَا..!

\*\*\*\*\*

حين تتأكدين بأنني أحببتك بصدق سيكون الكبرياء قد طغى على  
الحب!

\*\*\*\*

حبستُ كلماتي عن غيرك حتى وافتها المنية!

\*\*\*\*

والعشقُ من بعدك طائرٌ مبتور الجناحين.

\*\*\*\*

رسالتك بحد ذاتها عيد مستقل عزيزتي..!

\*\*\*\*

حتى بعد رحيلها كانت الذكريات تنوب عنها في قتلي مراراً..!

\*\*\*\*

حين أشتاق لك أختبئ في وسادتي محاولاً النوم على أمل أن  
يزورني طيفك..

فلا أنام ولا أراك..

\*\*\*\*

هناك من يغنيني عن الحديث معك، كالوسادة التي تحتويني في  
الظلام.

\*\*\*\*

عينك رواية فريدة، عاجز أنا عن تصنيفها، مشوقة، لا أستطيع  
صرف النظر عنها.

\*\*\*\*\*

لو يرى معلمي رسائلي معك أكاد أجزم أنه سيرفع محضراً  
ضدي بتهمة تزوير أوراقي.. فقد خنت لغتي وشاركتك الأخطاء  
الإملائية.

\*\*\*\*\*

أحاول نسيانك، والمحاولة في قاموسي تعني:  
الفشل!

\*\*\*\*\*

أراني أحببتك  
وأراهم يقولون لي أضغاث يقظة..  
لكني أنتظر من يقول أنا أنبئكم بتأويله.

\*\*\*\*\*

إِلَيَّ عَزِيزَتِي أُسَارِرُكَ أَنْكَ سِرِّي وَحُزْنِي وَحُبِّي وَرُزْنَامَةُ  
سَعَادَتِي.

\*\*\*\*\*

قد سارتُ نحوكَ الذكري تجتسُّ من نسيم هواك عليها أن تأخذ  
من نَفْسِكَ شهقةً فتتذكرين أن هناك شخصاً ما زال ينتظرك...

\*\*\*\*\*

ولو عاد بي الزمانُ إليكِ ثالثاً ورابعاً لُحِدْتُ بلهفة قلبي مجدداً،  
فقد كانَ يغمرهُ حنانكِ فلا يرى في غيركِ سبيلاً..

\*\*\*\*\*

لا أحد يُشبهك، أنا جُلُّ أربعينك!

\*\*\*\*\*

كفى بالجمالِ رفعةً أن كان له من عينيكِ نصيبُ

\*\*\*\*\*

ارحل قبل أن يرحلوا عنك..

تخلّ قبل أن يُتخلى عنك..

لا تنتظر أن يخبروك، فكل شيء راحة..

احمل ما تبقى من كبريائك وغازر..!

\*\*\*\*\*

بعض من الابتعاد وقليل من الصمت يخلق بداخلك نفساً ينسجُ  
لك الدربَ ليعيدك إليك.

\*\*\*\*\*

لقد تحطم سريره بالأمس..

لم يتحمل شدة تقلبه إثر إصابته بوعكة فكرية.

\*\*\*\*

ما أتعسَ أن يُسامرَ الإنسانَ خبيته..!

\*\*\*\*\*

وهذا الحنينُ أيا قلبُ أينَ مرّسَاه؟

عَلَى سَاطِئِ اللِّقَاءِ أَمْ عَلَى سَاطِئِ النِّسْيَانِ أَقْفَاهُ؟

\*\*\*\*\*

إِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَحْلَامُ لِقَاءَ فَلَیْكَنِ لِلْأَمَالِ فَنَاءٌ.

\*\*\*\*\*

حَتَّى بَعْدَ الْغِیَابِ تَبْقَى الْأَحَادِيثُ مُسْتَمِرَّةً وَلَكِنهَا تَتَرَدَّدُ فِي نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ..!

\*\*\*\*\*

نَحْتَضِرُ مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ، فَلَمْ تَحْدِثْ مَعْجَزَةً لِتَعِيدِنَا إِلَى الْحَيَاةِ وَلَمْ  
يَعَانِقْنَا الْمَوْتَ كِي نَرْتَاحَ مِنْ سَأْمِ الْإِحْتِضَارِ...!

\*\*\*\*\*

صَرَخْتُ دُونَ صَوْتِ وَأَلْمٌ دُونَ مَرَضٍ، شَيْءٌ مَا يُشْبِهُ الْحَلْمِ،  
تَسْتَيْقِظُ بَعْدَهَا بِصُورَةٍ أُخْرَى لَكِنَّا مَا زَلْنَا تَتَذَكَّرُ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ  
الْحَلْمِ فَتَعِيشُهُ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ كُلِّ ذِكْرِي..  
لَمْ يَكُنْ حُلْمًا..

كَانَ خَبِيئَةً، خَذْلَانًا، انْكَسَارًا

كَانَ شَيْئًا مَوْلَمًا..

\*\*\*\*\*

الإفراط في النوم محاولة للهروب من الواقع أقصى مدة نستطيع  
ليس إلا..

\*\*\*\*\*

ينفثع النهار ف تنفثع معه ابتسامتنا المزيفة!

\*\*\*\*\*

ما عدنا ننتظر الغد، فلينته اليوم ولينته معه كل شيء ولننتهي  
نحن معه أيضا وليبقى الغد لمن لا زال ينتظره!

\*\*\*\*\*

خلف هذا الليل ليلاً آخر يسكن في داخل كل منا...

\*\*\*\*\*

إن تكرار ذات الأخطاء لا يعني سوى العمد!

\*\*\*\*\*

أليست الأيام تمضي؟

فما بالنا ما زلنا نعيش في ذلك اليوم الذي مضى منذ وقت  
طويل!..

\*\*\*\*\*

ما أصعب أن تكون تائهاً في الأماكن التي كنت تعرفها...

\*\*\*\*\*

كالعادة..

أخطأت يا صديقي...

كان أمراً مؤقتاً ليس إلا..

\*\*\*\*\*

وتبقى غريباً مجهولاً حتى تلتقي من تُحب.

\*\*\*\*\*

قصة قصيرة:

أفرطنا فـ تُهنا فانتبهينا..

\*\*\*\*\*

حتى تُدرك جيداً لابد أن تتألم كثيراً!

\*\*\*\*\*

وحيث لا نعلم ولا ندري حكايات مبهمة تتربع على عرشها  
خيبيات الإدراك!..

\*\*\*\*\*

ويحَ الراحلين من جفاء القلوب إذا عادوا..

\*\*\*\*\*

لقد رحلوا إلى أعمق نقطة ألم في داخلنا تسمى الكآبة، أقصد  
الذكري !

\*\*\*\*\*

لم يعد هناك موسمٌ للخريف فقد تساقط الجميع منذ زمن..

\*\*\*\*\*

ينعتونك بالجاهل إذا قلتَ لهم: "لا أعلم"  
وكانهم يعشقون الحكايات التي في جعبتك!

\*\*\*\*\*

تولدُ الحروف بكامل أنافتها حين يشتدُ مخاضُ واقعها.

\*\*\*\*\*

حتى الأماكن لها من مشاعرنا نصيب...

\*\*\*\*\*

إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلأَحْلَامِ لِقَاءٌ فَلْيَكُنْ لِلأَمَالِ فَنَاءً..!

\*\*\*\*\*

أخطأنا حين ظننا أنفسنا غصناً، بينما لم نكن سوى أوراقٍ  
تتساقط وتتغير من فصلٍ لآخر..

\*\*\*\*\*

مُرَهَقٌ أنا..

من شيء ما ربما يشبهني..!

\*\*\*\*\*

صحيحٌ بأن الكلمات لا تنتهي..

لكنَّ الرغبة تنتهي..

\*\*\*\*\*

لكنَّ في داخلي الكثير ما لو اطلعوا عليه لولَّوا عني من فيض  
عتابهم..!

\*\*\*\*\*

ثم تتلاشى أحلام الواقع وتذروها الرياح في درك الشجو،  
فنتمنى أن نُغلق أجفاننا حتى نحافظ على رؤية بقايا أحلامنا..

\*\*\*\*\*

جيلنا لم يعد يتطلع إلى المستقبل، أصبحنا نرتقب ونتمنى عودة  
الماضي..!

\*\*\*\*\*

سلكنا سبيل الراحلين آملين أن نصادف بقايا ذاتنا المتناثرة في  
قارعة الطريق..!

\*\*\*\*\*

تجاهلني... لا بأس، لن أتجاهلك لكنني سأتجاهل صداقتك،  
سأعيدك إلى رف الغرباء كما أنزلتك منه سابقاً!

\*\*\*\*\*

صدقني لا أحد يعلم فالكل عن بعضه جاهل..!

\*\*\*\*\*

توقف صراعنا الداخلي بدايةً لفصلٍ آخر من البهوت...

\*\*\*\*\*

لقد رحلوا إلى أعمق نقطة ألم في داخلنا تسمى " الذكرى " ..

\*\*\*\*\*

نحنُ لم نعتزل الحب، نحنُ اعتزلنا ما يؤدينا فقط..!

\*\*\*\*\*

بعد أن كان مشرقاً بالأمل باتت ملامحهُ تخطُ كل مرادفات  
الأسى..!

\*\*\*\*\*

أحرقنا القشَ بحثاً عن الإبرة فأحرقنا لهيبُ القش، فخرجنا دون  
إبرة ودون روح..!

\*\*\*\*\*

وشاحَ وجهك بالهمّ متشحاً، كأنما بدت على محياه سكينَةٌ...  
عجباً، أهدوءُ البحر ينفى وجودَ الصدفِ؟

\*\*\*\*\*

أنت سعيد طالما لم يعلق أحدهم في شباك أفكارك.

\*\*\*\*\*

ليس كل من يفكر في شخص بمعنى أنه يحبه، قد يكون يفكر في التخلص منه.

\*\*\*\*\*

أجمل ما في النهايات أنه ينتهي عندها تدخل البشر، تخرج عن سيطرتنا كلياً، فلا يفيد الندم ولا الحسرة، حينها لا يسعنا سوى أن نبتسم ابتسامة عريضة، قد تكون ابتسامة رضى أو ربما جنون..!

\*\*\*\*\*

كانت تُمطر...

ليس ضعفاً وليس شوقاً..

كانت تُمطر لتغسل قلبي من أثر حزنه...

\*\*\*\*\*

الحب لا يموت..

لكنه يهرم مع كل تجاهل وكل انكسار وكل ريبة، فيصبح عاجزاً لا يقوى على شيء سوى الحياة التي لا معنى لها..

\*\*\*\*\*

كخبيبةِ عصفورٍ اشتهى الطيران وحين ارتفع قليلاً ارتطم بسقف  
القفص..!

\*\*\*\*\*

إذا أوشك يومك على الانتهاء دون أية مشاكل اقرص نفسك،  
فقد تكون تحلم..

\*\*\*\*\*

مرت السنين وأنا أنتظر حلول الربيع ليزهر قلبي من جديد..  
لكنّ في داخلي شتاءٌ يأبى الرحيل..!

\*\*\*\*\*

كنتُ يائساً لكنني لم أصل حدّاً أن أُغتال.. ولا متيقن الأمل حدّ  
التعثر..

كنت بين بين فلا أموتُ يائساً ولا أُصدم خُذلاناً...

\*\*\*\*\*

تنتهي كلُّ التساؤلات عند أول ضربة خُذلان لتتحول إلى كتلٍ  
من الحزن يملأ دواخلك..!

\*\*\*\*\*

حدثني معلمي عن التكنولوجيا قائلاً:

التكنولوجيا يا ولدي قرّبت البعيد وأبعدت القريب..!

\*\*\*\*\*

وأنا مثلك أيها البحر، أحتاج من يجوب أرجائي ويكسر صمتي  
بثرثرته..

\*\*\*\*\*

وأخيراً وبعد ثمانين صفحة من البؤس أقول لك:

يجوز النفاق في الابتسامة فابتسامتك في وجه أخيك صدقة.